المحاضرة الأولى: تعريف علم الدّلالة

قبل البدء بمعالجة أهمّ المفاهيم لهذا المصطلح، سنقف عند مفهوم (الدّلالة) في معناها اللّغوي ثم معناها الاصطلاحي:

I-تعريفات الدّلالة:

أوّلا: الدّلالة في اللّغة:

جاءت اللّفظة مشتقّة من المادّة الأصلية (د.ل.ل) بمعنى الاهتداء إلى الطّريق يقول الزّمخشري: (ت 538هـ) «دَلَّهُ عَلَى الطَّرِيقِ، وهو دَلِيلُ المَفَازَةِ وهم أَدِلّاؤُهَا، وأَدْلَلْتُ الطَّرِيقَ: اهْتَدَيْتُ إِلَيْهِ، ... والدَّالُّ عَلَى الخَيْرِ كَفَاعِلِهِ»[1] أي بمعنى الإرشاد إلى الطّريق المُوصل إلى مكان ما.

وممّا ذكره الرّاغب الأصفهاني أنّ مصطلح (الدِّلالة) يجيء بكسر الدّال ومعناه: «ما يُتوصّل به إلى معرفة الشّيء كدلالة الألفاظ على المعنى ودلالة الإشارات والرّموز والكتابة والعقود والحساب، وسواء كان ذلك بقصدِ ممّن يجعله دلالة أو لم يكن بقصدٍ»[2].

وجاء في لسان العرب لابن منظور (ت711هـ) في مادّة (**دلل**) ما يلي:

-دَلَّهُ عَلَى الشَّيءِ يَدُلُّهُ دَلاًّ ودَلَالَةً فَانْدَلّ: سدَّدَهُ إليه.

-والدَّليلُ: مَا يُسْتَدَلُّ به. والدَّلِيلُ: الدَّالُّ. وقد دَلَّهُ على الطّريق يدُلُّهُ دَلَالَة ودِلَالَة ودُلُولة، والفتح أعلى.

-والاسم: الدِّلالة والدَّلالة بالكسر والفتح، والدُّلُولَة والدِّلِيلِي. قال سيبويه: والدِّلِيلِيُّ عِلْمُهُ بِالدَّلَالَةِ وَرُسُوخُهُ فِيهَا[3].

إنّ هذه المعاني جميعها تصبّ في باب الاهتداء والتوجيه إلى الطّريق أو الشّيء، ومعرفة جوانبه.

---

[1] _ الزّمخشري، أبو القاسم جار اللّه محمود بن عمر بن أحمد: أساس البلاغة، تحقيق: محمّد باسل عيون السّود، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، ج1، مادة (د ل ل)، ص 295.

[2] _ الرّاغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمّد: المفردات في غريب القرآن، تح: مركز الدّراسات والبحوث، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، ج1، ص228.

[3] _ ينظر: ابن منظور، جمال الدّين أبو الفضل محمّد بن مكرم: لسان العرب، تحقيق: أحمد سالم الكيلاني وحسن عادل النّعيمي، مركز الشّرق الأوسط الثّقافي، بيروت، ط1، 2011م، ج7، مادة (د ل ل)، ص 152-153.

ثانيا: الدّلالة في الاصطلاح

"الدّلالة" في الاصطلاح تعني "الاستدلال"؛ فهي شقّان: دالّ ومعنى؛ **فـ "الدّال"** هو المتولّد من المعنى الأصل، وأمّا **"المعنى"** (sens) فمتولّد من[1]:

أ–الدّلالة: على الشّيء ما يُمكّن كل ناظر أن يستدلَّ بها عليها كمثل ذكر (الخالق والإبداع) دلالة على الخالق.

ب–الاستدلال: وهو الفعل الذي يقوم به المُستَدِلُّ.

ج–الدّلالة: ما يمكن أن يستدلّ بها كوسيلة من وسائل الحقيقة.

وهذه المعطيات جميعها تصبّ في ضبط مصطلح (الدّلالة) عند أهل التّفسير الذين قالوا بأنّها الإشعار بأمر خفيّ، كما مرّ معنا في تعريف الرّاغب الأصفهاني، الذي يؤكّد أنّ الدّلالة قد تكون عن قصد كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارات والرّموز والكتابة والعقود والحساب – وهي جميعها علامات سيميائية دالّة عند الجاحظ الذي جعلها رموزا غير لغوية – وقد لا تكون بقصد كمن يرى حركة إنسان فيعلم أنّه حيٌّ مصداقا لقوله تعالى:﴿ **مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ** ﴾ [سبأ: 14].

فالدّلالة هنا تعني إرشاد شَخْصٍ طلبَ معرفةً، وعليه يكون (الدّليل) إرشاد إلى شيء مطلوب غير ظاهر وغير واضح لطالبه، فهو متميّز بالغموض والخفاء، حتى تتمّ تجليته ووضوحه بما يدلّ عليه، كما هو موضّح في الآية الكريمة. وعليه تكون الدّلالة هي تلك العلاقة القائمة بين الدّال والمدلول؛ فغياب أحدهما لا يُتصوّر، ولا يتحقّق بغياب الآخر، فهما مرتبطان ارتباطا عضويا لا يمكن فكّه بحال من الأحوال.

ولعلّ أشهر التّعريفات الاصطلاحية هي تلك التي قالها المناطقة، والتي تؤكدّ أن (الدّلالة) هي فهم أمر من أمر آخر يدلّ عليه. فمن التّعريفات ما تقدّم به ابن سينا (ت 428هـ) بقوله: «...ومعنى دلالة اللّفظ: أن يكون إذا ارتسم في الخيال اسم ارتسم في النّفس معنى، فتعرف النّفس، أنّ هذا المسموع لهذا المفهوم، فكلّما أورده الحسّ على النّفس التفتت إلى معناه»[2] أي أنّ الدّلالة هي ثنائية

---

[1] ـ ينظر: طالب محمد إسماعيل: مقدّمة لدراسة علم الدّلالة (في ضوء التّطبيق القرآني والنّص الشّعري)، دار كنوز المعرفة، عمّان–الأردن، ط1، 2011م، ص 18–19.

[2] ـ ينظر: ابن سينا: كتاب العبارة، ص 4.

متلازمة من مسموع ومفهوم؛ المسموع هو اللّفظ، والمفهوم هو المعنى.

أمّا أبو هلال العسكريّ من اللّغويين، فقد حاول التفريق بين جملة من المصطلحات منها: الدّليل، الدّلالة، الاستدلال، الإشارة، والإمارة، دلالة الكلام ودلالة البرهان، وفي ذلك يقول «إنّ الدّلالة تكون على **أربعة أوجه: أحدها** ما يمكن أن يُسْتَدَلّ به قصد فاعله ذلك أو لم يقصد ،... **والثّاني**– العبارة عن الدّلالة، يقال للمسؤول: أعِدْ دلالتك. **والثّالث**–الشُّبهة يقال: دلالة المُخَالِفِ كذا أي: شُبهته، **والرّابع**– الأَمَارَاتُ: يقول الفقهاء: الدّلالة من القياس كذا، والدّليل فاعل الدّلالة»[1].

يحلينا هذا النّص على جملة من الملاحظات نلخّصها في الآتي:

–الدّلالة ذات بعدين؛ قد تكون مقصودة أو غير مقصودة.

–الدّلالة قد تكون غامضة فيتمّ توضيحها بتوظيف لفظ آخر دالّ عليها.

–الدّلالة تقوم على المنطق.

–الدّلالة تساوي الأمارة؛ وعليه قد تظهر في العلامات اللّسانية والعلامات غير اللّسانية أي تتّصل بدراسة النماذج الصّورية (Paradigmes formels) مثل لغة: الرّايات، إشارات المرور، العادات والتقاليد، الملابس...الخ.

ثانيا: ظهور مصطلح "علم الدلالة":

يشير بالمر (Plamer) إلى أنّ هذا المصطلح (Semantics) ظهر أوّل مرة سنة 1984 في بحث للّغوي Read الصّادر عن رابطة اللغويين التاريخيين الأمريكيين تحت عنوان Reflected Meaning المعاني العكسية [2].

وفي سنة 1900 ظهر كتاب ميشال بريال (Bréal) سنة 1897م ضابطا مفهوم هذا العلم في كتابه الموسوم (دراسات في علم المعنى): **Semantics Studies in the Science of Meaning** « ، غير أنّ ذيوع هذا العلم وانتشاره لم يتحقق إلا سنة 1923 ببزوغ فجر واحد من أشهر الكتب اللّسانية التي ألفّها الثنائي (Ogden) و (Richards) بعنوان **The Meaning of**)

---

[1] _ أبو هلال العسكري: الفروق اللّغوية، تحقيق: محمّد إبراهيم سليم، دار العلم والثّقافة، القاهرة –مصر، 1997م، ص 68.

[2] _ ينظر: بَلْمَرْ: علم الدّلالة، تر: أحمد ظاهر حافظ، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1، 2012م، ص 5-6.

(**Meaning** معنى المعنى. وعلى الرّغم من أنّ مصطلح (علم الدلالة) لم يظهر في ثنايا الكتاب، غير أنّه ظهر في الملحق بمفهومه القديم (علم اللغة التاريخي).

ولعلّ الطّرح الجديد الذي استثمره (ميشيل بريال) فيمكن في دعوته لجعل المعنى الدّلالي فرعا مستقلا عن الدّراسات اللّغوية؛ فلم يعد الاهتمام بذلك مقصورا على المعنى المعجمي فحسب، بل تجاوزه ليشمل الجوانب التركيبية القواعدية أيضا، حتى أضحى علما مستقلا فيما بعد له نظرياته ومجالاته وموضوعاته.

ومنه فيمكننا التّسليم بأنّ **علم الدّلالة** هو فرع من فروع علم اللغة، وهو عنصر أساسي (**Component**) ومستوى من مستوياته، شأنه في ذلك شأن علم الأصوات، وعلم الصّرف، وعلم التراكيب؛ فهو يحتلّ القاعدة الأساسية لكل هذه العلوم مجتمعة، فهي لا تنفكّ تعتمد عليه في تحليلها اللّساني.

ثالثا: تسمية "علم الدّلالة "وضبط مفهومه:

سمّي هذا العلم تسميات عدّة منها: علم الدّلالة، علم المعنى، السّيمانتيك، وهذا سببه الترجمة عن اللغتين الفرنسية أو الإنجليزية، غير أنّه لا يمكن تسميته بعلم المعاني لأنّ هذا الأخير فرع من فروع البلاغة [1].

وحتى يتسنّى لنا معرفة حدود هذا العلم، والوقوف على مفاهيمه سنورد أشهر التّعريفات التي قدّمت له.

-التّعريف الأوّل: «إنّه العلم الذي يدرس المعنى Sens أو الدلالات Significations في اللّغات الإنسانية»؛

-التّعريف الثّاني: «هو ذلك الفرع من علم اللغة " La Linguistique " الذي يتناول مدلولات المفردات في اللغات البشرية، تزامنيا، أو تعاقبيا، أو تعالقيا»؛

-التّعريف الثّالث: «إنّه العلم الذي يشتغل على "الشروط الواجبة أو الكافية" في الأشياء أو الماهيات، حتى يكون لها معنى أو دلالة في المواضعة أو الاصطلاح»[2].

---

[1] _ ينظر: أحمد مختار عمر: علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998، ص 11.

[2] _ ينظر: بنعيسى عسّو أزابيط: الوجيز في علم الدّلالة، دار الأمان، الرّباط، ط1، 2016، ص 13.

–التّعريف الرّابع: «العلم الذي يدرس الشّروط الواجب توافرها في الرّمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى»[1].

نستنتج من هذه التّعاريف والتّحديدات المختلفة ما يلي:

–اتّساع مجال الدّلالة في مستوييها النّظري والتّطبيقي.

–هو علم عام يتجاوز مستوى المفردة (المعنى) إلى مستوى التّراكيب (الدّلالات).

–يعتمد هذا العلم في تحليله اللغوي للمعنى على المنهج الوصفي تارة والمنهج التاريخي تارة أخرى (تطوّر دلالة المفردات).

–اتّساع العوالم الدّلالية: الإنسان، الأشياء، الماهيات، التصوّرات...الخ.

–ارتباط علم الدّلالة بالسّياق الاجتماعي والثّقافي والنّفسيّ ناهيك عن السّياقات اللّغوية.

–ارتباط علم الدّلالة–سيميائيا–بدراسة العلامات (**Signes**) اللّغوية وغير اللّغوية وأنسقتها؛ فمن أمثلة الرموز القائمة على مبدأ الاصلاح في وضع دلالتها؛ الحمامة رمز السّلام، غصن الزيتون رمز الأرض، الميزان رمز العدالة.

–يهتم علم الدّلالة بأنواع المعنى؛ المعنى الحقيقي، المعنى السّياقي، المعنى المجازي في كلّ اللغات الإنسانية، وقد يتجاوزها إلى المعنى التداولي الذي يقوم على مقصدية المتكلّم[2].

مثاله أنّ العامل أغضب الرّئيس فيقول له: لَقَدْ قُمْتَ بِعَمَلٍ بَارِعٍ حَقًّا.

فالمعنى الذي تحمله الجملة في ظاهرها أنّ عمله ممتاز جدّا، غير أنّ المعنى الخفيّ المقصود هو **ذمّ العامل بدل مدحه** عن عمله الذي لم يكن في المستوى.

–لا يهتم هذا العلم بالجوانب المعجمية من المعنى فحسب، إنّما يتجاوزها ليشمل الجوانب القواعدية أيضا، كما أنّ مباحثه لا تقتصر على معاني الكلمات فقط، بل تشمل أيضا معاني الجمل[3].

---

[1] _ أحمد مختار عمر: المرجع السابق، ص 11.

[2] _ محمّد علي الخولي: علم الدّلالة (علم المعنى)، دار الفلاح للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، سنة 2000م، ص 14- 15.

[3] _ محمّد محمّد يونس علي: مقدمة في علمي الدّلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، ليبيا، ط1، 2004م، ص 12-11.

ففي الثمانينات كانّ اللسانيون يعالجون المعاني المعجمية فقط، غير أنّ تطوّر النحو التّوليدي كان له الأثر البارز في توسيع مجال ومفهوم علم الدلالة، ليشمل مباحث تتصل بعلم دلالة الجملة وعلم الدّلالة التّاريخي الذي يدرس تطوّر معاني الكلمات عبر العصور (Etymologie)؛ ودراسات أخرى اهتمت بالتغير الدّلالي(Semantic Change) للمفردات.

كما ظهرت فروع أخرى تحدث عنها اللّساني (جون ليتر) (J.lyons) فقد ميّز بين علم الدّلالة اللغوي وعلم الدّلالة الفلسفي، وعلم الدّلالة الإناسي (الأنثروبولوجي)، وعلم الدّلالة النّفسي، وعلم الدّلالة الاجتماعي، وعلم الدّلالة الأدبي وهلمّ جراّ [1].

[1] John Lyons .Linguistic Semantics : An Introduction (Cambridge : Cambridge university press)1995.xii.13-12 نقلا عن المرجع نفسه، ص

.